قصر الحمراء

مولاى الحسن : امض أيها المسيحى ، وقل لمن أرسلك إن ملوك غرناطة الذين كانوا يدفعون الجزية قد ماتوا . ومن الآن فصاعدا لم يعودوا يصنعون الذهب هنا . بل الحديد والسيوف من أجل الأعداء .

فرناندو : حسن ، بما أنهم قد أرادوا هذا ، فإننى سأنزع تلك الرمانة حبة حبة .

أبو عبد الله : منذ عشر سنوات فقط ، تحدى مولاى الحسن (أبى) بهذه الصورة ، وبهذه الصورة أيضا أجاب فرناندو (الملك الكاثوليكى) على هذا التحدى ، هكذا بكلمات قلائل يتحدد مصير . . عشر سنوات قصار تكفى ضد ثمانمئة سنة .

مريمة : فى ثمانية قرون . لم تسترح كل من قشتاله وأراغون .

أبو عبد الله : ونحن مع ذلك نترك أنفسنا يحملنا العبق شيئا فشيئا .

مريمة : لقد ولدنا هنا ، هذه كانت أرضنا ، هنا كنا نستمع إلى الأغنية الأخيرة ، من الذى

كان في وسعه أن يخبرنا أن الأمور تكون على هذا النحو ؟ : نغرس الفن والجمال مثل الياسمين والآس . ولدى شجر الرمان نطالع كتب العلم ، ونقبل ثغر المحبوبة : ثغرك يامريمة ، مثل زهر الرمان لم نفكر فى أنه من خارج البستان يهيئ القدر لنا المدية واللحظة . . . فقدنا حياتنا فى سبيل الرقة .

مـــــريمة : بسرعة فائقة بادلنا بخو ذاتنا عمائم مطرزة . وبسرعة فائقة نسينا أن السلام لا تحققه إرادة واحدة . . .

الشاعر الجوال : بينما كان يتجول الملك العربى
في مدينة غرناطة
من باب إلبيرة
إلى باب الرملة
وصلته رسائل
تخبره بسقوط الحامة
رمى بالرسائل فى النار
وقتل الرسول .

أبو عبد الله : آه أيتها الحامة ، حامتى أنا كانت هذه هى

الحبة الأولى من الرمانة (غرناطة) من هناك بدأ الألم . . ومنذ ذلك الحين تخلت أمى عائشة عن عرشها وتاجها لثريا المسيحية الأسيرة إيزابل دى سوليس . وقررت الانتقام . . . كنت أنا سلاحها ، تصديت لأبى ، سانده بنو السراج ، تدفق دم بنى السراج أكثر من ارتفاع هذه النافورة . . . كنت ابن عشرين سنة ، فى المساء كنت أسمع ارتطام الصرخات فى أحياء الصناعة الشعبية مثل الطيور العمياء . . وانبترت زهرة المحاربين النصريين هذا المساء فى هذه القاعة .

الشاعر الجوال : (متهما) قتلت بنى السراج
كانوا زهرة غرناطة
وجمعت المنشقين
من قرطبه
لذا تستحق أيها الملك
أن تعانى هما عظيما

أن تفقد نفسك وعرشك
وأن تسقط غرناطة

أبو عبد الله : لقد حبسني أبي ، وحبس السلطانة عائشة ، وببراقعها وبراقع وصيفاتها أجبرني أن أتدلى من البرج ، وفي البيازين بايعني من بقى من بني السراج ملكا ، حاربت أبي ، نزف الدم شآبيب في الشوارع . كل شيء كان مذبحة ، كان فناء ، كان مهلكة . الجار ضد جاره ، والقريب ضد قريبه .

الشاعر الجوال : بنو الصغير ، وبنو الجمل
وبنو الزرقى ، وبنو عوض الله
وبنو غز ، وبنو بورتليس
وبنو السراج ، وبنو معزو
والفخارون ، وبنو شيش
والفردقى ، والفرار
كلهم يبكرون ليغرقوا الفجر في الدم

أبوعبد الله : أبي مولاي الحسن ، وعمي الزغل لاذا بمالقة

مريمة : . . . إنني أعبدك ياغرناطة ، وأنت يا أبا عبد الله . .

أبو عبد الله : أنت يامريـمة ، وغرناطة الفضـليان لدى ،
لذا وددت أن أخالط فرحة الحمراء : حاولت
أن أجعـل من اسـمى (أبو عبد الله الصغير)
اسما كبيرا ، حاربت النصارى . . .

الشاعر الجوال

من باب البيرة هذا
زحف الجيش اللهام
كم فيه من وجوه المسلمين
كم فيه من كمت الخيول
كم فيه من رماح مشرعة
كم فيه من بيض الصفائح
كم فيه من بزة العسكر الخضراء
كم فيه من جباب قرمزية
كم فيه من ريش وأناقة
كم فيه من فحول الخيول
كم فيه من حو الأحذية
كم فيه من أعصبة توشحه
كم فيه من مهاميز ذهبية
كم فيه من ركاب فضى

كان الجميع صناديد
عركوا رحى المعارك
وفى قلب هذه الكتيبة الجرارة
يمضى ملك غرناطة الصغير
ترمقه المسلمات من بروج الحمراء
يلبس عمامة مطرزة
فيها سطر يقول :
« طريقى الأثير هو الحب »
يربط القلنسوة والجبهة
شال أخضر
وبين ريشتين ذهبيتين
ريشة بيضاء مثبتة
فيها سطر يقول :
« نفس واحدة فى جسدين »
شال وعباءة
لونهما بنفسجى
بتطريز يقول :
« أنت شمس آمالى »
ناظرا إلى سيدة مسلمة

فى أبراج الحمراء
هى أمه الملكة المسلمة
تحدثه هكذا :
« ليحفظك الله ياولدى
وليحرسك النبى محمد » .

مـــــويمة : لم يفدك شيئا ، كنت لا تزال تنظر إلى من باب إلبيرة ، وعند الخروج مرق ثعلب من أمامك . أطرحت النذير الشؤم يا أبا عبد الله ، وغدوت أسيرا فى لوشه . . .

الشاعر الجوال : (رسول) لقد خسر الملك الصغير
وانفض من حوله من كانوا معه
لم يهرب أحد :
فهم : أسير ، وقتيل ، وجريح
كانوا جموعا غفيرة
وأنا وحدى الذى تزودت
للإتيان بمحزنة جديدة
من البلية العظمى التى حدثت

مـــــويمة : بقيت غرناطة بلا نور ، بلا نور ، والملكة

عائشة ، بلا نور ، وأنا . . .

الشاعر الجوال : يبكون ملكهم الصالح
الحبيب العزيز
يتظلمون إلى النبى محمد
الذى تخلى عنه
كل جواهره ترخص
فى سبيل افتدائه :
حتى حلى نسائه وخلاخيلهن
وأمشاطهن من الذهب الإبريز

الــــــــراوى : (فى حياد يكاد يقاطع الشاعر) هذه هى شروط الفداء : يعلن أن أبا عبد الله معاهد وفى للملكين الكاثوليكيين ، يدفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر ألفا من الدوبلة الذهبية ، ويفك أسر أربعمئة أسير مسيحى ويستجيب بصورة دائمة حين يطلب منه أن تمر فى أراضيه قوات تذهب لقتال أبيه مولاى الحسن أو عمه الزغل ، وأن يحضر إلى بلاط الملكين الكاثوليكيين حين يستدعى . . وأن يسلم ابنه وأبناء الأمراء

المسلمين رهينة لتوكيد الميثاق .

أبو عبد الله : قدر حزين أن تكون مأمورا .. لقد غدوت الآن سلاح النصارى ضد عمى الزغل - كما كنت قبل ذلك سلاح أمى ضد مولاى الحسن . . .

مريمة : أنا وأمك استقبلناك فى البيازين . . . واستغل أبوك هزيمتك ، فاستقر فى الحمراء . . بينما كانت الجلبة والطبول تحمس بنى السراج ، وكنت أفكر فى ولدنا وهو فى قصر قرطبة بعيد جدا ، يبسط ذراعيه فى الظلام باحثا عن أمه . . . دون جدوى .

أبو عبد الله : وأنا لكى أحقن دم شعبى النازف قبلت المشاركة ، ونأيت عن ألمرية ، وللمرة الأولى انشطرت مملكة غرناطة شطرين ، واقتلع الشجر . . .

الشاعر الجوال : ألورا ، أيتها القريبة
الواقعة بجانب النهر
لقد اقترب منك السابق
فى أحد صباحات الأحد

ترين مسلمين ومسلمات
هاربين إلى الحصون
المسلمات يحملن ثيابا
والمسلمون يحملون دقيقا وقمحاً
والمور يسكيون الصغار يحملون
الزبيب والتين

أبو عبد الله : ألورا ، شنتيل ، فوين ، قرطمة ، رنده . .
تنازل مولاى الحسن عن العرش يائسا من عمى الزغل .

مريمة : كان يعيش الزغل فى الحمراء ، ونحن مرة أخرى فى البيازين . . .

أبو عبد الله : والآن غرناطة التى كانت مشطورة شطرين .

أبو عبد الله : كل مساء ، ناظرا إياه ، كنت تحلم أن تعود إلى هذا القصر .

الشاعر الجوال : رحل الملك من قرطبة
وكذلك ملكة قشتالة
فى عام ستة وثمانين
وأربعمائة وألف

ومعه زهرة المماليك
وكوكبة عظيمة من الفرسان
فى طريقهم إلى لوشه
يريدون الاقتراب منها . .

مـــــويمـة : ولدتُ فى لوشـه . . أليطار ، والقـائد ، وأبى تعـود أن يقـول لى ضاحكا حينمـا كان يهز الرياحين : « لن تخرجى من هنا إلا لكـى ينـــاديك بهـــو الأســـود : ياسلطانتى » . . .

أبو عـبـد الله : هذا ما حدث .

مـــــويمـة : بيـــد أنى لـم أســتطع أبدا العــودة إلى لوشـــه . . ولا إلى ألـــورا ، . . ولا إلى مـوقلين . . .

أبو عـبـد الله : ولا إلى جبل الثلج ، ولا إلى قلهمره . .

مـــــويمـة : ولا إلى سالارا ، ولا إلى بلش . . .

أبو عـبـد الله : حـينمـا ذاع فى بلش نبـأ هزيمة الزغل ، قادنى أهل غـرناطة منتصرا من البيازين إلى الحـمـراء ، وعـادت غـرناطة لى مـرة أخرى .

مـــــويمـة : بيـــد أنك لــم تسـتطع العـودة أبدا إلى

مالقه يا أبا عبد الله ، العودة أبدا إلى
مالقة ، كل يوم يتضاءل عالمنا .

الشاعر الجوال : لقد صارت مالقة ضيقة جدا
في تصدع وانهيار
منهارة في كل جوانبها
دون أى دفاع
« يرجوك حامد الصغير
مع هذه الزمرة
أن تسلمي هذه المدينة
فليس لديها أى دفاع
تأملي كيف قتل المسيحي
هذا العدد من المحاربين
ألا ترين أن الباقين
يسلبهم الجوع والحياة
لقد خارت قوى غرناطة
ولم يعد ناسها كعادتهم
فروسية وكبرياء
لأن ملكهم قد قتل »

أبو عبد الله : أجل ، في القريب العاجل ، مهاد

محدود من الأرض سيكفى . . .

الـــــــــراوى : غزيت مالقة ، انشطرت المملكة النصرية إلى ثلاث ممالك : يسيطر ملوك قشتالة على جزئها الغربى من ألورا وموقلين حتي بلش ، ويسيطر الزغل على ألمريه وبسطه ووادى آشي والبشارات حتى المنقر : وأبو عبد الله الملك الصغير يزهو بمدينة غرناطة وغوطتها وجبلها ، ظلال ملك . .

أبو عبد الله : لقد استخدمنى الملوك الكاثوليك لإضعاف العدو المشترك ، وفى وسعهم الآن أن يشرعوا فى الحصاد .

الشاعر الجوال : على بسطة يشرف فرناندو

فى يوم الاثنين بعد الغداء
كان يتملى الحوانيت الفنية
التى فى مملكته
يتملى البساتين الفسيحة
يتملى الأرباض
يتملى المحجة العظمى
فى المدينة

يتملى الأبراج الكثيرة
التى تستعصى على الحصر
على بسطة يشرف فرناندو
وسيظل فى داخلها .

أبو عبد الله : (فى بطء) بورشينا ، المرية ، وادى آشى سالوبريننا ، المنقر . . .

فرناندو : ها نحن ننتزع حبوب هذه الرمانة حبة حبة (وقفة) . .

أبو عبد الله : ها نحن وحيدان ، يا مريمة ، لقد انتهى والدى ، وانتهى الزغل ، وليس لمدينة غرناطة سوى ملك واحد .

أبو عبد الله : حقيقة نحن وحيدان يا أبا عبد الله ، نحن وحيدان ، لا أحد ، لاشىء .

الشاعر الجوال : (رسول مقاطعا) .

شئ جديد أجيئك به يا سيدى
سفارة سيئة جدا
من نهر شنيل البارد
يقدم أناس كثيرون مسلحون :
راياتهم منشورة

يسيرون على إيقاع الحرب :
وثمة راية ذهبية
بها صليب فضى
ويقسمون جميعا
على الصورة المرسومة
ألا يخرجوا من الغوطة
إلا إذا غنموا غرناطة

مـــــــريمـة : أنشودة النصارى
تسمع من الحمراء
وصهيل خيولهم
يؤرق السلطانات . . .

الشاعـر الجـوال : يا إلهى كم تبدو جميلة
فى غوطة غرناطة
كل أسوار المبانى
كل القلاع المزخرفة
قبو دائرى
تحيط بك كلها وتستحم
لقد أنشأك الملك دون فرناندو
وعاونته الملكة إيزابل

وفرسان مسيحيون
قطعوا أشجار الغوطة
وفوق الجانب الأيسر
يضعون صلبانا قرمزية

إيـــزابـــل : لقد حدثتني يا كولومبوس عن الهند الشرقية ، عن تيانجو ، عن قطاى ، حدثتنى عن الفراديس النائية جدا . . اصغ إلى : خلال ما يقرب من ثمانمئة سنة تنحدر قشتالة تجاه الجنوب بوصة بوصة مبهورة بالشمس وفتنتها ، بخضرة الخصوبة ، تضغط على أسنانها تغمض عيونها ، عانت ما يقرب من ثمانمئة سنة فى طريقها إلى هذا الفردوس القريب الذى سلبوه منها ، . . إنك تتحدث عن عوالم أخرى ، . . لا أدرى هل أنا ملكة حقا ، أم لست سوى ربة بيت تعرف حساباتها بالعد على الأصابع ، تنفق ما تستطيع ، وتراجع المواعيد ، وتهيئ الراحة لرجالها بعد العمل . . ؟ أصغ إلى

ياكولومبوس : قشتالة متطلعة لا يروقها
بيتها ، تريده فقط للعودة إليه أحيانا
لكى تستريح ولذا فهى فى حاجة إلي
من يرعاه لها إننى أنا التى أرعى
لقشتاله بيتها . . عبر ما يقرب من
ثمانمئة سنة ، حلمنا « بإسبانيا » لكى
تكون خريطتها التى تشبه إهاب الثور
كلها لنا ، فقط ينقصنا ثمرة صغيرة :
أحلى ثمرة ، ولعلها زهرة فحسب :
أجمل الزهرات و ها نحن نلمسها
بأصابعنا .. أنت تتحدث عن الهند
الشرقية ، عن معاهدات ، عن مال ..
ليس لدى ياكولومبوس . فى هذا الوقت .
فرحتى غامرة جدا أن أرى غرناطة أمامى ،
سأعطيك جواهرى لتشرع فى السفر ،
حتى جواهرى ليس عندى ، إنها مخزونة
فى بلنسية رهينة نظير ديون سالفة ..
ليس لدى شىء : سوى تلك الفرحة أن
أعرف أن أسلافى يهتزون طربا فى

قبورهم ؛ لأن الاسترداد طريق الصليب
الطويل فى طريقه إلى التمام . . قشتالة
مثل هاتيك اللبؤات العجائز التى تنام
وبين مخالبها بذرة بخور ، تشمه ،
تتسلى به عن الإزعاجات ، عن أيام مؤلمة
.. انظر ياكولومبوس كيف تلمع بذرة
البخور هذه !

الشاعر الجوال : ما هذه الحصون الباذخة المتلألئة .
ياسيدى ، إنها الحمراء
والآخر المسجد
والأخريات الدشارات
العجيبة الصنع
والأخرى جنة العريف
البستان العديم المثال
والأخرى القباب الحمراء
حصون عظيمة

فرناندو : إذا رغبت فى الزواج منى يا غرناطة
فإننى أمنحك قرطبة وأشبيلية
صداقا ، وحلوى

إيـــزابـــل : لا تحـدثوا امـرأة جاءها المخاض عن شيء
آخـر : لا تمزجـوا رعـايتـهـا بشيء آخـر ،
قشتالة تتمـخض ، ستأتى أزمنة أخرى ،
حين يهدأ بيتها من جديد ياكولومبوس
حينئـذ نتحدث عن تيبـانجو ، وقطاى ،
اليـوم قطاى قـشتـالة قـريبـة جـدا ، هنا
منشـورة فى الشـمس ، متكئـة برأسـهـا
الجميـل على وسادة من جليـد . . إيزابل
ربة بيت قشتالة تطلب منك الانتظار .

الشاعر الجوال : أنشودة النصارى
تسمع من الحمراء
وصهيل خيولهم
يؤرق السلطانات

مـــريمـة : إنهم يقتربون . . ها هم يقتربون . . الألم
يطرق بيده الصخرية بوابة النبيذ .

أبو عـبـد الله : فى بوابة العـدالة ، يد الألـم تتـدلى إلى
المفتاح . وتفتح قصورى شيئا فشيئا . .
مـاذا صنعنا ؟ « لا غـالـب إلا الله ، لا
غـالـب إلا الله » . هل كـان كـذبا مـا

حدثونـا به ؟ كنـا نحن أيضـا نحـلم :
« بإسبانيا » خلال ثمانية قرون كنا نهتف
أيضـا باسم « إسـبانيـا » وكل يوم صـوتنا
ينخفض .. نجمة النصريين يأخذ وجهها فى
الأفول ، شمس تشرع فى طمسك أيتها
النجوم الشاردة التى تسطرين القدر الأسيف
لمن ينهزم .

مـــويمة : إنهم يقتربون ، ها هم يقتربون ..

أبو عبد الله : أية ملكات أخريات تتكئ تماثيلها النصفية
فى شرفة الواجهة ؟ أية أقدام أخرى ذوات
أحذية من طرز متعددة تطأ هاتيك القاعات ؟
أية آذان هيئت فقط على طلقات البارود
سوف تستمع إلى موسيقى الحب من
نوافيرنا ؟ لأجل من سوف ينمو النسرين
والآس ؟ الأقوياء ليسوا فى حاجة إلى كل
هذه الرقائق . . سوف تدوسها سنابك
خيولهم ، وسوف ينمو العوسج . .

مـــويمة : فوق قبة أبى الحسن سيضعون مئرز ملكة

اسمها صعب ،لن يكون اسمها عائشة ، ولا ثريا . . .

أبو عبد الله : فوق الشعار الوحيد لبنى الأحمر « لا غالب إلا الله » يكتبون شعارهم هم ، وينقشون الحرف الأول من اسم الملك والملكة الفاء والياء (فرناندو وإيزابل) . . وفوق ألوان زليجنا سيرسمون نيرهم وكنانة سهامهم . الأقوياء ليسوا فى حاجة إلى جماليات كثيرة حسبهم القوة .

مـــــريمة : فى طاقات مباخرنا يصنعون محاريب قديسهم . .

أبو عبد الله : وفى قصر العدالة يشيدون مصلاهم . .

مـــــريمة : لا غالب إلا الله .

أبو عبد الله : وفى أحواض الوضوء يضعون ماء التعميد .

مـــــريمة : إنهم يقتربون ، هاهم يقتربون . . وفى الحمامات الساخنة حيث تسمع موسيقى المعازف الخفية ، وحيث تتكاسل الأجساد الرائعة الجمال ، وحيث البخار يعبث عبث المئزر الشفيف حيث تطل الشمس باسمة

دون أن تدخل . . فى الحمامات الساخنة
يخزنون البارود والقمح .

أبو عبد الله : حيث كنا سعداء ، نغنى ، سيكونون هم
أقوياء فقط .

مـــــريمة : حيث كنا أقوياء ولطفاء ، سيضعون هم
حجارتهم .

أبو عبد الله : وعلى الكتب التى فهمنا منها تاريخ
البشر يضعون النفط عليها .

مـــــريمة : وفى الأماكن التى أحببنا فيها الحياة ،
سيمضون فيها للموت . .

أبو عبد الله : سيجلبون أزهاراً مختلفة ، لغة أخرى ،
عيونا أخرى . .

مـــــريمة : طريقة غريبة للحب ، ولكون المرأة
محبوبة .

أبو عبد الله : وفى الأماكن التى يستريح فيها رفات
أسلافنا . . .

مـــــريمة : لا غالب إلا الله .

أبو عبد الله : ستنمو أعشاب مهجورة ، سيدنس نبات
النار ، النصب المرمرية التى ما قَّبلها غير

الشمس والمطر ، ستنسى القاعة التى دفن
فيها رفات الملوك .

مـــــــريمـة : (بصوت خفيض) لا غالب إلا الله .

أبو عـبـد الله : فى أرضنا هذه ، المثـمـرة ، المزروعـة ، السعيدة ، سيدفنون موتاهم . . . لقد تغير صاحب العالم إلى الأبد . .

مـــــــريمـة : سيشهد المرمر الهرم – فى دهشة – مشاهد لم ترقط . .

أبو عـبـد الله : . . لكن لن يكون لنا نصيب منها .

مـــــــريمـة : هنيئا للزليج ، ولخنزير بطائن السقوف الأشقر ؛ لأنها ستظل فى مكانها ، بينما نحن نضوى شوقا إليها .

أبو عـبـد الله : خدعنا الآس والعوسج ، خدعنى قلب غرناطة . .

إيـــــزابـــــل : سيغلق درع قشتاله بثكنة عظيمة ، بقلب غرناطه . .

أصـــــوات : لقد سقطت غرناطة فى يد دون فرناندو ، ودونيا ايزابل ، لقد غدت غرناطة لقشتالة !!

إيـــزابـــل : غرناطة لنا ، أين كولومبوس ؟ لقد حان الوقت للحديث عن الهند الشرقية .

صـــوت : إنه مضى ياسيدتى ، فى طريقه إلى فرنسا ، ليعرض مشروعه على ملك الفرنسيين .

إيـــزابـــل : نادوه ، اذهبوا فى طلبه ، وائتوا به ، ستقوم قشتالة بتحقيق هذه الأحلام ، أمام عتبة الفردوس ، ستوقع قشتالة معاهداتها .

الشاعر الجوال : فى مدينة غرناطة

يصيحون صيحات هائلة
البعض ينادى محمدا
وآخرون ينادون بالتثليث
تدخل الصلبان من جانب
ويخرج القرآن من جانب آخر
حيث كانت تسمع سور قبل ذلك
يسمع صليل الأجراس
يسمع « الحمد لله فى الأعالى »
بعد إقامة الصلوات الخمس
الأبراج ليست على هيئة الهلال

ويشاهد تغيير في القلاع
ملك يدخل سعيدا
وآخر يمضى باكيا
الشـاعـر الجـوال : آه أيتها البيازين الباذخة ، بيازينى
آه ، لقيساريتى
حمرائى ، دشاراتى
مسجدى الجامع
حماماتى ، بساتينى ، نهرى
حيث تعودت أن أستريح . . .
من الذى أبعدك عنى
حيث لن أراك أبدا ؟
حتى هذه اللحظة أراك
ومن بعيد يامدينتى
عاجلا لن أراك
لأننى سأقصى عنك
عجبا ياعجلة الحظ
مجنون من يثق فيك
بالأمس كنت ملكا مشهورا
واليوم ليس فى يدى شىء

عـــــائشــــة : ابك مثل النساء ملكا مضاعا
لم تحافظ عليه مثل الرجال
الشـاعـر الجـوال : برانس ، لا عمائم
لن يقبل المسلمون بمسلمين آخرين
برانس ، لا عمائم
حمراء ، بنفسجية ، أو خضراء
لا مرط ، لا عباءة
لا مآزر ، لا أكسية
لا تقام مبارزات
ولا تخضب السواعد الفتية بالحناء
لا يسعون إلى سيداتهم
في الحضور والغياب
ولا غيرة ملحة
ولا عطايا حب
برانس ، لا عمائم
حمراء ، بنفسجية ،أو خضراء
فالجميع يلبس السواد
يلبسون ثيابا برتغالية
يرون أن القدرة الإلهية
هم عنها مبعدون . .

أبو عبد الله : كل شيء يصل إلى ذروته العليا ، يبدأ في الانحدار ، لا تتخلوا عن سحر الحياة ، وحب الحياة .

أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين منهم أكاليل وتيجان
وصار ما صار من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب يوما ، ولا ملك الدنيا سليمان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له هوى له أحد ، وانهد ثهلان
فاسأل بلنسية ماشأن مرسية وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص ، وما تحويه من نزه ونهرها العذب فياض وملآن

حتى غرناطة التي بقيت لؤلؤة في جبين الإسلام ، حيث يعبد الله . .

لا غالب إلا الله . فإنكم ترونها الآن . .

هل ثمة وطن لإنسان يفقد غرناطة . . البكاء البكاء .

لأن أي شيء إذا هوى ، فإنما يهوى إلى مكان سحيق .